



إبراهيم ^{عليه السلام} وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي



المجلس الثامن: دعوة إبراهيم ^{عليه السلام} لآزر

قال تعالى...

{وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مريم: ٤١].

كان إبراهيم (عليه السلام) من الأنبياء، بل من الرسل، بل من أولى العزم من الرسل وكذلك كان صديقاً.

صدق وتحرى الصدق حتى كُتب عند الله صديقاً.

{وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: ٤١-٤٥].

هذه دعوة إبراهيم (عليه السلام) لأزر أبيه الذي كان يصنع الأصنام لقومه، التي قال الله (تبارك وتعالى) فيها إجمالاً في سورة الأنعام "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".

أعظم جريمة جريمة الشرك، أن تجعل لله نداً وهو خلقك، أن تُشَبِّه الله (عز وجل) بخلقه أو أن تُشَبِّه خلق الله بالله، أن ترفع الخلق إلى درجة الألوهية أو أن تُشَبِّه الله (عز وجل) بخلقه فتتزل صفاته عز وجل المقدسة اللامحدودة على هؤلاء الخلق المحدودين. إما أن تُغالي في الناس وترفعهم إلى درجة الألوهية وإما أن تُشَبِّه الله بخلقه، وهذا هو حقيقة الشرك.

أن تجعل لله نداً وهو خلقك، إما أن ترفع المخلوق إلى درجة الخالق، أو تُنزل الخالق عز وجل في صفاته وأفعاله إلى درجة المخلوق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر؟ كيف تعبد ما لا يسمع ولا يبصر؟

لابد أن يكون الإله سميعاً بصيراً.

ولذلك سيأتي بإذن الله (عز وجل) في مناظرة إبراهيم (عليه السلام) لقومه "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ".

الإله لا يأفل، الإله لا يغيب، الإله يراقب عباده، يسمعهم، يبصرهم، يقوم على تدبير أمورهم، "إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ".

الإله قيوم قَيَّام قَيِّم، قائم بأمر نفسه، مقيم لأمر الخلائق، "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ".

الله (عز وجل) لا يأفل ولا يغيب، لا يموت، "لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ"، إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه، كما قال (صلي الله عليه وسلم)، قام فيهم بهذه الخمس كلمات، قام في الصحابة بهذه الخمس كلمات.

إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، هذا معنى القيومية لله (عز وجل)، أنه لا يأفل، أنه لا يغيب، أنه السميع، أنه البصير، أنه القريب، أنه المجيب، أنه الرقيب، أنه الشهيد تبارك وتعالى، أنه المقيت، أنه الحفيظ، أنه المحصي، أنه العليم، أنه الخبير (تبارك وتعالى).

"يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا".

"وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ".

"وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ".

لا يقي من أمر الله أحد، الله يجبر ولا يجار عليه، لا يغني عنك من الله شيء، لا أحد ولا شيء، لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

هذا الإله الذي تعبد، الإله الباطل هل يغيثك من عقاب الله؟ من عذاب الله؟

إذا أراد الله بك ضرًا؟، إن أراد بك نفعًا؟

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٨].

"وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ"، وإن يردك الله برحمة فلا ممسك لها (تبارك وتعالى).

الله هو الضار النافع، المعطي المانع، المعز المذل، القابض الباسط، الخافض الرافع، هو (تبارك وتعالى) إن أرادك بخير فلا راد لفضله، يصيب برحمته من يشاء (تبارك وتعالى) وهو الغفور

الرحيم، وهو العليم القدير، بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله، والمسيطر على كل ذرة في هذا الوجود، العلوي والسفلي في هذه الاكوان، الله (تبارك وتعالى) مسيطر على كل شيء.

{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ} [الطور: ٣٥-٣٧].

انظر إلي إقامة الحجة، انظر إلي استثارة العقول، استثارة الفطر، استثارة البديهيّات والعلوم الضرورية المكنونة في النفوس وفي العقول وفي الفطر.

كيف نعبد ونتعبد ونرجو ونخاف ونتأله ونحب ونركع ونسجد ونذبح وننذر ونتحاكم إلي شرع إله لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عن عبده شيئاً، ولا يغني عن عبده شيئاً، هو نفسه ميت، الصنم ميت، الوثن ميت.

{أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل: ٢١].

لا ينفع ولا يضر، لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا ضرراً ولا نفعاً ولا نشوراً.
كيف ذلك؟

"يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي".

لماذا نتبع الأنبياء؟ لماذا أمرنا أن نتبع الأنبياء؟

هل أمرنا أن نتبع الأنبياء فقط بدون أي برهان أو بدون أي سبب؟

لا، لما ميزهم الله (تبارك وتعالى) واصطفاهم بالعلم.

فالعلم هو الموجب للإتباع، البرهان، الحجة، الدليل

وكذلك ورثة الأنبياء والرسل من العلماء والصالحين والمصلحين والدعاة، لا يجيبون على الناس أن يتبعوهم لأسمائهم ولا لشخصهم ولا لرمزيتهم، وإنما بما معهم من الدليل والبرهان.

الدليل والبرهان الأدلة الشرعية النقلية وكذلك الأدلة العقلية.

فإن الشرع جاء باستثارة العقول بما تأتي به العقول والفطر ولا تحيله، بما تقبله العقول والفطر، ولا يكون مستحيلاً في الفطر والعقول.

لم يأت الشرع بواحد زائد واحد يساوي واحد، كما يقول النصارى أن الثلاثة يساوي واحد وأنهم يعبدون إلهًا واحد، وفي الحقيقة هم يعبدون ثلاثًا، ويقولون هؤلاء الثلاثة واحد، كيف ذلك؟

أنتم تعبدون ثلاثة، الأب والابن والروح القدس،

كيف يكونون واحد؟

هذا ما يحيله العقل أن يكون الثلاثة واحد.

يقول لك عندما تؤمن سوف تفهم، أنا أريد شخص آمن وفهم ويفهمنا بالبرهان، بالعقل، بالدليل حتي النقلي، حتى النقول لا يملكونها.

انقطاع هائل بينهم وبين المسيح (عليه السلام) وبين تعاليم المسيح.

أما أنت أيها المؤمن فمعك كتاب الله، سنة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

الأدلة النقلية والأدلة العقلية، القرءان يأتي بما تقبله العقول، بما تقبله الفطر، بما يقبله القلب، بما يقبله العقل، بما يقبله الوجدان، بما يسجد له القلب والبدن، يسجد للحجة، يسجد لهذا البرهان.

هذا البرهان الظاهر على ألوهية الله وربوبية الله (تبارك وتعالى).

عظمة هذه المخلوقات تدل على عظمة الخالق (تبارك وتعالى).

كمال صفات هذه المخلوقات تدل على كمال صفات خالقها وصانعها.

كيف سيكون المخلوق يُذم إذا كان أصمًا أبكمًا أعمى؟

ثم بعد ذلك يكون إلهك، الصنم أصم أبكم أعمى، كيف تعبد ذلك؟

لابد أن يكون الصانع والخالق أكمل من المخلوق

"لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا".

{يَا أَبْتَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [مريم: ٤٣].

يا أبتى يا أبتى يا أبتى يا أبتى أربع مرات، من الرفق، من اللين، من إقامة الحُجة، بالحكمة
والموعظة الحسنة، الترغيب والترهيب.

موعظة بليغة نستكملها بإذن الله (تبارك وتعالى) في الحلقة القادمة.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم....